**رسالة الحبر الأعظم**

**البابا بنديكتوس السادس عشر**

**في مناسبة يوم السلام العالمي لسنة 2011**

**الحريّة الدينيّة، طريق إلى السلام**

**1-**     **دواعي الموضوع**

   في مستهلّ سنة جديدة ، تتوجّه أمانيّ إلى الجميع والى كلٍّ منهم. وهي أماني صفاء وازدهار، ولكنها خصوصًا أماني سلام.إنّ السنة التي انتهت تميّزت، هي أيضًا، لسؤ الطالع، بالاضطهاد والتمييز العنصري، وبأعمال العنف المخيفة، وعدم التسامح الدينيّ.

إنني أُفكِّر خصوصًا بأرض العراق العزيزة التي، وهي في مسيرتها نحو الاستقرار والمصالحة اللتين طال انتظارهما، لا تزال مسرحًا للعنف والاعتداءات. ونستذكر الآلام الحديثة التي قاستها الطائفة المسيحيّة، وخصوصًا الهجوم الجبان على الكاتدرائيّة السريانيّة الكاثوليكيّة، كاتدرائيّة سيّدة النجاة الدائمة في بغداد، حيث قُتل كاهنان وأكثر من خمسين مؤمنًا في الحادي والثلاثين من تشرين الأول الأخير، فيما كانوا مجتمعين للاحتفال بالقداس الإلهيّ. وكانت هناك هجمات أخرى في الأيّام التالية، استهدفت منازل خاصة، فأثارت المخاوف في قلب الطائفة المسيحيّة والرغبة لدى الكثيرين من أعضائها، في السفر بغية البحث عن شروط حياة فضلى. أنني أُؤكِّد لهم قربي منهم وقرب الكنيسة جمعاء. وقد جاء التعبير عن هذه العاطفة اخيراً بطريقةٍ حسّية لدى اجتماع جمعيّة مجمع الأساقفة الخاصة بالشرق الأوسط. ووجّهت هذه الجمعيّة تشجيعًا للجماعات الكاثوليكيّة في العراق وفي كلّ الشرق الأوسط لتعيش المُشارَكة ومُتابَعة تقديم شهادةِ إيمانٍ شجاعة في تلك المناطق.

إنني أشكر جزيل الشكر الحكومات التي تبذل جهدها للتخفيف من آلام هؤلاء الإخوة في البشريّة، وأدعو الكاثوليك إلى الصلاة لإخوتهم في الإيمان الذين يعانون العنف وعدم التسامح، والى التعبير لهم عن تضامنهم. في هذا الاطار، شعرت خاصة شعورًا حيًّا بواجب المُشارَكة معكم جميعًا في بعض أفكارٍ عن الحريّة الدينيّة، الطريق إلى السلام. ومن المؤلم حقًا أن نرى أن من المستحيل على المؤمن، في بعض مناطق العالم، الجهر بإيمانه بحريّة، من دون أن يُجازِف بحياته وحريته الشخصيّة. وهناك مواقع أخرى في العالم، فيها أشكال أخرى صامتة وأحكام مُعقَّدة ومقاومة تطال المؤمنين والرموز الدينيّة. والمسيحيون اليوم هم الفئة الدينيّة التي تعاني الاضطهاد على أنواعه، بسبب ايمانها. كثيرون من بينهم تطالهم إهانات يوميّة ويعيشون غالبًا في خوف من جراء بحثهم عن الحقيقة، وعن ايمانهم بيسوع المسيح ودعوتهم الصادقة، وعن دعائهم الصادق للاعتراف بالحريّة الدينيّة. وكل هذا لا يمكن قبوله، لأنه يُشكِّل اهانة لله وللكرامة الانسانيّة، وفوق ذلك تهديداً للأمن والسلام، او يحول دون تحقيقِ تطوُّرٍ إنساني مُتكامِل[[1]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn1" \o ").

ان التعبير عن خصوصيّة الشخص البشري نجدها في الحقيقة في الحريّة الدينيّة التي يمكنها أن تُنظِّم حياته الشخصيّة والاجتماعيّة بحسب الله. ففي ضوئه تفهم فهماً تاماً الهوية، ومعنى الانسان وغايته. وإنكار هذه الحريّة بطريقةٍ تعسفيّة، او الحدّ منها، يعني تنمية رؤية تحجُّم الشخص البشري. ووضع دور الدين العام في الظلمة أو الحدّ منه يعني خلقَ مجتمعٍ غير عادل، لأنه لا يكون مُنسجِمًا مع طبيعة الإنسان الحقيقيّة. وهذا يعني استحالة تأكيدِ سلامٍ حقيقي، مُكرَّس لموضوع: حريّة دينيّة، طريق إلى السلام.

إنني أحضّ الرجال والنساء من ذوي الإرادة الطيبة على تجديد التزامهم ببناءِ عالمٍ يكون فيه الجميع أحراراً في ممارسة دينهم أو إيمانهم، ويعيشون محبّتهم لله من كلّ قلوبهم، ونفوسهم، وفكرهم (راجع متى 22:37). هذه هي العاطفة التي تُلهِم الرسالة الرابعة والأربعين ليوم السلام العالمي، المُخصَّصة لموضوع: الحريّة الدينيّة، الطريق نحو السلام وتقودها.

**2- الحق المقدّس في الحياة وفي حياة روحيّة**

 إن الحق في الحريّة الدينيّة مغروس في كرامة الشخص البشريّ[[2]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn2" \o ") التي يجب الاّ تُتجاهَل طبيعته الفائقة الطبيعة، ولا تُبتذَل. لقد خلق الله الرجل والمرأة على صورته ومثاله (تك 1: 27) ولهذا إن كلَّ شخصٍ له حق مُقدَّس بحياة مُتكامِلة أيضاً من الناحية الروحيّة. ومن دون الاعتراف بكيان الإنسان الروحي، ومن دون الانفتاح على الفائق الطبيعة، ينغلق الانسان على ذاته، ولا يستطع إيجاد أجوبةٍ على أسئلة قلبه، التي تتعلّق بمعنى الحياة، وعلى حيازة قيم ومبادئ أخلاقيّة طويلة الأمد. وهو لا يستطيع أن يُفلِح في مُمارَسة حريّة حقيقيّة، وتطويرِ مجتمعٍ عادل[[3]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn3" \o ").

ان الكتاب المُقدَّس، بالانسجام مع خبرتنا الخاصة، يكشف عن قيمة كرامة الإنسان الحقيقيّة: "إنني أرى سماواتك عمل أصابعك، والقمر والكواكب التي كوّنتها. ما الانسان حتى تذكره، وابن البشر حتى تفتقده. نقّصته عن الملائكة قليلاً وكلّلته بالمجد والكرامة، سلّطته على أعمال يديك، وأخضعت كلَّ شيءٍ تحت قدمَيه" (مز 8: 4-7).

          أمام عظمة واقع الطبيعة البشريّة، في إمكاننا أن نختبر الإعجاب الذي اختبره صاحب المزامير. وهي تظهر انفتاحًا على السرّ، قدرةً على التساؤل بعمق عن نفسنا، وعن أصل الكون، جوابًا على محبّة الله العظمى، مبدأ كلِّ شيءٍ وغايته، وكلِّ شخصٍ وكلّ الشعوب[[4]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn4" \o "). ان كرامة الانسان الفائقة الطبيعة هي قيمة أساسيّة للحكمة اليهوديّة المسيحيّة، غير إنما بفضل العقل، في إمكان الجميع أن يعرفوها. وهذه الكرامة، اذا فهمناها قدرةً على التسامي على قوانا الماديّة الخاصة والبحث عن الحقيقة، يجب أن يُعترَف بها خيرًا عامًا لا بدّ منه لبناءِ مجتمعٍ مُوجَّه إلى تحقيق الإنسان وكماله. وان احترام العناصر الأساسيّة لكرامة الانسان كالحق بالحياة، وحق الحريّة الدينيّة، إنما هو شرط للشرعيّة الأدبيّة لكلٍّ قاعدةٍ إجتماعيّة وقانونيّة.

**3- الحريّة الدينيّة والاحترام المُتبادَل**

    إنّ الحريّة الدينيّة هي في أساس الحريّة الأدبيّة. وفي الواقع إنّ الانفتاح على الحقيقة، والانفتاح على الخير، والانفتاح على الله، المُتأصِّل في الطبيعة البشريّة، تمنح كلَّ إنسانٍ ما له من كرامةٍ تامة، وهي تضمن احترامًا مُتبادَلاً وتامًّا بين الأشخاص. ولذلك يجب فهم الحريّة الدينيّة ليس فقط فقدانًا للضغط، بل قبل كلِّ شيءٍ قدرة تنظيم الإنسان خياره وفق الحقيقة.هناك رابط لا سبيل إلى كسره بين الحريّة والاحترام. فـ "الشريعة الأدبيّة تُلزِم كلَّ إنسانٍ وكلَّ مجموعة بشريّة، على أن يحسبا حسابًا، لدى ممارستهما حقوقهما، لحقوق الآخر، ولواجبهما تجاه الآخرين وخير عام الجميع [[5]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn5" \o ").

          إنّ حريّة تكون عدوّة لله، أو غير مباليّة به، تنتهي بأن تكفر بذاتها، ولا تكفل احترام الآخر التام. وان ارادة تظنّ بأنها لا تستطيع أساسًا ان تبحث عن الحقيقة والخير، لا تبقى لها أسباب وضعيّة ولا مُسبِّبات لتعمل، الا لما تفرضه عليها مصالحها الآنية والعابرة، وهي ليس لها "هوية" تُحافِظ عليها وتبنيها بقيامها باختيارات حرّة وواعية حقاً. وهي لا يمكنها أن تُطالِب باحترامِ "إراداتٍ" أخرى وهي منفصلة عن كيانها العميق، لـ "أسباب "أخرى أو دونما سبب. والوهم أن من الممكن إيجاد، بواسطة النسبيّة الأدبيّة. مفتاح وجودٍ سلمي هو في الحقيقة في أساس الانقسامات وإنكار كرامة الكائنات البشريّة، وإنّا نفهم حينئذ وجوب الإقرار ببُعدٍ مزدوج في وحدة الشخص البشري: البُعد الدينيّ والبُعد الاجتماعي. وفي هذا السياق، يستحيل التفكير بأن على مؤمنين " أن يفقدوا جزءًا منهم – إيمانهم - ليكونوا مواطنين ناشطين، لا يجب من باب الضرورة الكفر بالله ليتمتّع الإنسان بحقوقه"[[6]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn6" \o ").

**4- العائلة، مدرسةُ حريّة وسلام**

    إذا كانت الحريّة الدينيّة طريقًا إلى السلام، فالتربية الدينيّة هي طريق ممتازة لمنح الأجيال الطالعة امكان الاعتراف بالآخر أخًا وأُختًا، نسير معهما ونتعاون لمنح الأجيال الطالعة الشعور بأنّا نسير معًا ونتعاون ليشعر الجميع بأنهم أعضاء احياء لعائلة بشريّة واحدة، لا يمنع أحد عن البقاء في كنفها.

          ان العائلة المُؤسَّسة على الزواج، الذي هو تعبير عن اتحادٍ حميم وتكامل بين الرجل والمرأة، يدخل في هذا السياق مدرسةً أولى لتثقيف الأولاد ونموّهم الاجتماعي، والثقافيّ، والأدبي، والروحي.ويجب أن يجدوا دائمًا في آبائهم وأُمهاتهم الشهود الأُول على حياةٍ مُوجَّهة إلى البحث عن الحقيقة ومحبّة الله.وعلى الأهل أن يشعروا بأنهم دائمًا أحرار بأن ينقلوا، دونما عوائق، وبطريقةٍ مسؤولة، تراثهم الدينيّ، وقيمهم، وثقافتهم إلى أبنائهم. والعائلة، التي هي الخليّة الأولى للمجتمع البشري، تظلّ المكان الأساسي للثقافة على العلاقات المُتناسِقة على جميع مستويات العيش الإنساني المُشترَك والوطني والدولي. ونجد هنا الطريق التي يجب السير عليها بحكمةٍ لبناءِ نسيجٍ اجتماعي مكين ومُتضامِن، لإعداد الشباب لحمل مسؤولياتهم في الحياة، في مجتمعٍ حرّ، بروحِ تفاهمٍ وسلام.

**5- تراث مُشترَك**

   يمكن القول أنّه، بين الحقوق والحريّات الأساسيّة المُتأصِّلة في كرامة الانسان، تنعم الحريّة الدينيّة بوضعٍ خاص. وعندما يصير الاعتراف بالحريّة الدينيّة، تُحترَم كرامة الانسان، وتتوطّد اخلاق الشعوب ومؤسساتها. وعلى العكس من ذلك، عندما يصير التنكُّر للحريّة الدينيّة، وعندما تُمنَع المجاهرة بالدين أوالإيمان، والعيش بمقتضاهما، تُمتهَن كرامة الانسان، وبهذه الطريقة تكون العدالة والسلام مُهدَّدَين. وهما يقومان على نظامٍ اجتماعي عادل، يُبنى في ضوء الحقيقة السامية والخير المطلق.

وبهذا المعنى،ان الحريّة الدينيّة هي أيضًا مكسبُ حضارةٍ سياسيّة وقانونيّة. إنه خير جوهري فكلُّ شخصٍ يجب أن يكون في إمكانه أن يُمارِس بحريّة حقه بالاعتراف بدينه أو إيمانه، فرديًا او جماعيًا، في العلن، وفي غير العلن، في التعليم والمُمارَسة، وفي النشر ، وفي العبادة، ومُمارسَة الطقوس. ويجب ألا يلقى هذا أيّ عقبة، اذا أراد أن يعتنق دينًا آخر، أو ألا يدين بأيّ دين. وفي هذا المجال، ان التنظيم الدولي يبدو رمزيا وهو مثال جوهري للدول من حيث انه لا يسمح بأيِّ اختراقٍ للحريّة الدينيّة، ما عدا مقتضى النظام العام الشرعي الذي تُبطِنه العدالة[[7]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn7" \o "). والنظام الدولي يعترف أيضا بالحقوق ذات الطبيعة الدينيّة، بالحقوق ذاتها التي تخصّ الحياة والحريّة الشخصيّة، لأنها تتعلّق بالنواة الأصليّة الخاصة بحقوق الانسان، وهذه الحقوق العامة والطبيعيّة التي لا يمكن للشريعة البشريّة أن تُنكِرها.

إنَّ الحريّة الدينيّة ليست تراثاً محصوراً بالمؤمنين،بل لعائلة شعوب الأرض جمعاء. إنها عامل أساسي لدولة القانون، لا يمكن نكرانها دون المساس في الوقت نفسه بكل الحقوق والحريّات الأساسيّة إذ إنها خلاصة وذروة هذه الحقوق والحريّات. إنها "خريطة للتأكد من احترام جميع الحقوق الإنسانية الأخرى"[[8]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn8" \o "). ففيما تساعد على ممارسة الخصائص الإنسانية تنمي الوعود اللازمة لتحقيق نمو متكامل يتعلق بشمولية الشخص في مختلف أبعاده[[9]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn9" \o ").

**6- البعد العام للدين**

 إن الحريّة الدينيّة، شأن أي حريّة، وإن انحصرت بالإطار الشخصيّ، إنما تتحقق في العلاقة مع الآخرين. الحريّة الدينيّة أيضا لا تنتهي فقط في البعد الفردي إنما تنجلي داخل الجماعة والمجتمع بشكل مرتبط بعلاقات الشخص والطبيعة العامة للدين.

قدرة الإنسان على إقامة العلاقات عنصر حاسم للحريّة الدينيّة يدفع بجماعة المؤمنين إلى ممارسة التضامن من أجل الخير المشترك. في هذا البعد الجماعي يبقى كل شخص منفردا وفي الوقت نفسه يحقق ذاته بالكامل.

لا يمكن نكران المساعدة التي تأتي بها  الجماعات الدينيّة في المجتمع. وكثيرة هي المؤسّسات الخيريّة والثقافيّة التي تثبت الدور البنّاء للمؤمنين في الحياة الاجتماعية. ويكتسب أهمية أكبر الإسهام الأدبي للدين في الإطار السياسي إذ لا يمكن تهميشه أو رفضه إنما يجب فهمه كدعم فاعل لإنماء الخير المشترك. في هذا التطلع لا بد من الإشارة إلى البعد الدينيّ للثقافة عبر القرون بفضل الإسهام الاجتماعي والأدبي للدين. ولا يشكل هذا البعد بأي طريقة تمييزا بحق الذين لا يقاسمون الإيمان بل يقوي التلاحم الاجتماعي والتكامل والتضامن.

**7- مخاطر استغلال الحريّة الدينيّة كأداة:**

 استغلال الحريّة الدينيّة لتغطية مصالح خفية شأن الانقلاب على النظام، ووضع اليد على الموارد أو الإبقاء على السلطة من قبل فريق، بإمكانِهِ أن يتسبّب بأضرارٍ خطيرة على المجتمعات. التعصب والأصولية والممارسة المخالفة للكرامة البشرية لا يمكن تبريرها أبدا ولاسيما إذا تم تنفيذها باسم الدين. لا يمكن استغلال ممارسة دين أو فرضه بالقوة. لا بد والحالة هذه ألا تنسى الدول والجماعات البشرية على اختلافها أن الحريّة الدينيّة شرط للبحث عن الحقيقة وأن الحقيقة لا تفرض بالعنف إنما "بقوة الحقيقة عينها"[[10]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn10" \o "). من هذا المنطلق فإن الدين قوة إيجابية ومحركة لبناء مجتمع مدني وسياسي.

كيف لنا أن ننكر إسهام الديانات الكبرى في العالم في نمو الحضارة؟ البحث الصادق عن الله أوصل إلى احترام أفضل لكرامة الإنسان. الجماعات المسيحية، مع إرث القيم والمبادئ الذي يميزها، ساهمت بعمق في توعية ضمائر الأشخاص والشعوب حول الهوية والكرامة الذاتية وكذلك أيضا في نشأة مؤسسات ديمقراطية والتأكيد على حقوق الإنسان وواجباته.

اليوم أيضا، في مجتمع أكثر عولمة، المسيحيون مدعوون ، ليس فقط عبر الالتزام المدني، الاقتصاديّ والسياسيّ المسؤول، إنما أيضا من خلال أداء شهادة لمحبتهم وإيمانهم ليقدموا إسهاما قيّما في التزامهم من أجل العدالة والنمو البشري الكامل والنظام المستقيم للواقع البشري. إقصاء الدين عن الحياة العامة ينتقص من هذه الأخيرة فضاء حيويا منفتحا على المتسامي. يصبح من الصعب بدون هذه الخبرة الرئيسة توجيه المجتمعات نحو مبادئ خلقية شمولية وإقامة أنظمة وطنية ودولية حيث الحقوق والحريات الأساسيّة معترف بها بشكل كامل كما تنص أهداف الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان لعام 1948 وهي للأسف لم تُحقق حتى اليوم.

**8- الأصوليّة والعدائيّة تجاه المؤمنين تؤذي علمنة الدول الإيجابيّة**

إنّ الاصرار نفسه الذي به نشجب جميع أشكال التعصّب والأصولية الدينيّة، يجب أن يعيش مقاومةَ مختلف أشكال العدائية تجاه الدين والتي تنقص من دور المؤمنين في الحياة المدنيّة والسياسيّة.

لا ننسى أن الأصولية الدينيّة والعلمانية شكلان لرفض شرعية التعددية ومبدأ العلمانية. الاثنان في الواقع يعطيان معنى مطلقا لرؤى تنقيصية وجزئية للشخص البشري ما يسهّل، في الحالة الأولى، من تواجد أشكال أصولية دينيّة، وفي الحالة الثانية، أشكال عقلانية. إن المجتمع الراغب في فرض أو، بالعكس، نكران الدين بالعنف لمجتمع غير عادل تجاه الإنسان والله وكذلك أيضا تجاه نفسه. الله يدعو إليه الإنسانية عبر تصميم محبة يقتضي، فيما يشرك الشخص في بعديه الطبيعي والروحي، تجاوبا بمعنى الحريّة والمسؤولية بكل القلب وكل الذات، على المستويين الفردي والجماعي. وبما أن المجتمع تعبير عن الشخص ومجمل أبعاده الأساسية فعليه بالتالي أن يحيا وينظم نفسه بشكل يسهّل الانفتاح على المتسامي. ولهذا بالذات فإن القوانين والمؤسسات في مجتمع ما لا يمكن أن تتواجد إذا أهملت البعد الدينيّ للمواطنين. على هذه القوانين والمؤسسات أن تضع نفسها ـ من خلال العملية الديمقراطية لمواطنين واعين لدعوتهم الذاتية ـ في موضع الشخص كي تتجاوب معه في بعده الدينيّ. وبما أن هذا ليس من صنع الدولة فلا يجوز التصرف به بل يجب الإقرار به واحترامه.

يفشل النظام القانوني على مختلف المستويات، الوطنية والدولية، في أداء مهمته عندما يسمح أو يتساهل مع التعصب الدينيّ أو الروح المعادي للدين ذلك لأن دوره يكمن في إنماء وحماية العدالة وحق كل فرد. ولا يمكن لهذه الوقائع أن تخضع لرأي مشرّع أو أغلبية لأنه كما علمنا شيشرون فإن العدالة أكثر من فعل إنتاجي محض للقانون وتطبيقه. تفرض العدالة الإقرار بكرامة كل فرد[[11]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn11" \o ")،  لأن الكرامة، بدون حريّة دينيّة مضمونة ومعاشة في جوهرها، تصبح مشوهة ومعرضة لخطر الوقوع تحت سيطرة الأصنام والخيور النسبية المتحولة إلى أمور مطلقة. إن كل هذا يعرض المجتمع لخطر التوتاليتاريات السياسية والأيديولوجية التي تعظم السلطة العامة فيما تشهد بشكل مواز انتقاصا حريّة الضمير والفكر والدين.

**9- الحوار بين المؤسسات المدنية والدينيّة**

 إنّ تراث المبادئ والقيم في المشاعر الدينيّة الأصيلة غنى للشعوب وأخلاقها إذ إنه يتوجه مباشرة إلى ضمير وعقل الرجال والنساء ويذكّر بالضرورة الملحة للارتداد الأدبي ويحرك وينمي ممارسة الفضائل والتقارب بين الواحد والآخر بمحبة وبروح التآخي كأعضاء في العائلة البشرية الكبرى[[12]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn12" \o ").

في إطار احترام العلمانية الإيجابية لمؤسسات الدولة لا بد من الإقرار دائما بالبعد العام للدين. ولهذا الغرض من الأهمية بمكان قيام حوار سليم بين المؤسسات المدنية والدينيّة لإنماء الشخص البشري بشكل شامل وتحقيق الانسجام داخل المجتمع.

**10- العيش في المحبة والحقيقة**

 في عالم معولم تميزه مجتمعات متعددة الإتنيات والمذاهب، بإمكان الديانات الكبرى أن تكون عاملا هاما للوحدة والسلام للعائلة البشرية. واستنادا إلى قناعاتهم الدينيّة الذاتية والبحث العقلاني عن الخير المشترك يدعى أتباع هذه الديانات إلى عيش التزامهم بمسؤولية في إطار الحريّة الدينيّة. لا بد في مختلف الثقافات الدينيّة من رفض كل ما يناقض كرامة الرجل والمرأة وكذلك أيضا الحفاظ على كل ما يعود لصالح التعايش المدني.

إن النطاق العام الذي توفره الجماعة الدولية للأديان ولمقترحاتها بشأن "حياة صالحة" يسهّل نمو مقياس مشترك للحقيقة والخير وكذلك أيضا توافق أدبي لا بد منه من أجل تعايش عادل وسلمي. إن قادة الديانات الكبرى، لدورهم ونفوذهم وسلطتهم داخل جماعاتهم، هم أول المدعوين إلى الاحترام المتبادل والحوار.

والمسيحيون، من جانبهم، مدعوون بدافع إيمانهم بالله، أب ربنا يسوع المسيح، إلى العيش كأخوة يلتقون في الكنيسة ويتعاونون لبناء عالم حيث الأشخاص والشعوب "لا يسوؤون و لا يفسدون ... لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر" (أشعيا 11، 9).

**11- الحوار كبحث مشترك**

بالنسبة للكنيسة، يشكل الحوار بين أتباع الديانات المختلفة أداة بالغة الأهمية للتعاون مع كل الجماعات الدينيّة من أجل الخير المشترك. الكنيسة نفسها لا ترذل شيئا مما هو حق ومقدس في مختلف الديانات بل "تنظر بعين الاحترام والصراحة إلى تلك الطرق، طرق المسلك والحياة وإلى تلك القواعد والتعاليم التي غالبا ما تحمل شعاعا من تلك الحقيقة التي تنير كل الناس بالرغم من أنها تختلف في كثير من النقاط عن تلك التي تتمسك بها هي نفسها وتعرضها"[[13]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn13" \o ").

الطريق المشار إليه ليس طريق النسبية أو التوافقية الدينيّة. في الواقع "تعلن الكنيسة أن المسيح هو "الطريق والحق والحياة" (يوحنا 14، 6) وفيه يجد الناس كمال الحياة الدينيّة وبه صالح الله كل شيء"[[14]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn14" \o "). لكن هذا لا يستثني الحوار والبحث المشترك عن الحقيقة في أطر حيوية مختلفة لأنه كما يقول القديس توما الأكويني "إن كل حقيقة، أيا كان مصدرها، تأتي من الروح القدس"[[15]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn15" \o ").

تصادف عام 2011 الذكرى الخامسة والعشرون لليوم العالمي للصلاة من أجل السلام الذي دعا إليه في أسيزي عام 1986 السعيد الذكر البابا يوحنا بولس الثاني. في تلك المناسبة أدى قادة الديانات الكبرى في العالم شهادة على كون الدين عامل اتحاد وسلام ولا عامل انقسام ونزاع. إن ذكرى تلك الخبرة دافع رجاء بمستقبل يشعر فيه جميع المؤمنين بأنهم حقا صانعو عدالة وسلام.

 12- **الحقيقة الأخلاقيّة في السياسة والدبلوماسيّة**

لا بد لاهتمام السياسة والدبلوماسية أن ينصب على الإرث الأدبي والروحي للديانات الكبرى في العالم للإقرار والتأكيد على الحقائق والمبادئ والقيم الجامعية التي لا يمكن نكرانها بدون نكران كرامة الشخص البشري في الوقت نفسه. ماذا يعني، بالمعنى العملي، إنماء الحقيقة الأدبية في عالم السياسة والدبلوماسية؟ يعني التصرف بطريقة مسؤولة انطلاقا من المعرفة الموضوعية والكاملة للأحداث وبالأحرى يعني تفكيك إيديولوجيات سياسية هدفها تخطي الحقيقة والكرامة البشرية وإنماء قيم مزورة بحجة السلام والنمو والحقوق الإنسانية، ويعني أيضا تسهيل التزام مستمر لتأسيس القانون الوضعي على مبادئ القانون الطبيعيّ[[16]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn16" \o "). كلّ هذا ضروري وينسجم مع احترام كرامة وقيم الشخص البشري وفقا لإرادة شعوب الأرض كما جاء في شرعة الأمم المتحدة لعام 1945، التي تتضمن قيما ومبادئ أدبية جامعية في إشارة إلى القواعد والمؤسسات وأنظمة التعايش على المستويين الوطني والدولي.

**13- أبعد من البغض والأحكام المسبقة**

 على الرغم من دروس التاريخ والتزام الدول والمنظمات الدولية على الصعيدين العالمي والمحلي والمنظمات غير الحكومية وجميع الرجال والنساء ذوي الإرادة الطيبة الساعين كل يوم لحماية الحريات والحقوق الأساسية، لا تزال تسجل في العالم اليوم أيضا حالات اضطهاد وتمييز وأعمال عنف وعدم التسامح باسم الدين. أولى الضحايا في آسيا وأفريقيا بشكل خاص هم أعضاء الأقليات الدينيّة الذين يمنعون من ممارسة أو تغيير دينهم بحريّة من خلال التخويف وانتهاك الحقوق والحريات الأساسية والخيور الرئيسة إلى حد الحرمان من الحريّة الشخصيّة وفقدان الحياة.

هناك أيضا ـ كما أشرت سابقا ـ أشكال عدائية جديدة ضد الدين تعبّر عن نفسها في بعض الأحيان في البلدان الغربية من خلال نكران التاريخ والرموز الدينيّة التي تعكس ثقافة وهوية أغلبية المواطنين. إنها أشكال تغذي البغض والأحكام المسبقة ولا تتماشى مع رؤى صافية ومتزنة للتعددية وعلمانية المؤسسات بدون حساب أن الأجيال الجديدة تجازف بعدم التعرف على الإرث الروحي الثمين لبلدانها.

إنّ حماية الدين تمر عبر حماية حقوق وحريات الجماعات الدينيّة. على قادة الديانات الكبرى والمسؤولين عن الأمم أن يجددوا التزامهم من أجل إنماء وحماية الحريّة الدينيّة وبالأخص الدفاع عن الأقليات الدينيّة التي لا تشكل تهديدا على هوية الأغلبية، بل بالعكس، فرصة للحوار والاغتناء الثقافيّ المتبادل. إن حماية هذه الأقليات تشكل الطريقة الأفضل لتدعيم روح الطيبة والانفتاح والتبادلية من أجل حماية الحقوق والحريات الأساسية في مناطق العالم كلها.

**14- الحريّة الدينيّة في العالم**

أتوجّه، الآن إلى الجماعات المسيحيّة المتألمة من جراء الاضطهاد والتمييز وأعمال العنف وعدم التسامح، وخصوصا في آسيا وأفريقيا، في الشرق الأوسط وتحديدا في الأرض المقدسة، المكان المقدس الذي اختاره الله الرب. إني، إذ أجدد لها عطفي الأبويّ وصلاتي، أطلب من جميع المسؤولين التدخل فورا لوضع حد لأي عمل اضطهاد بحق المسيحيين في تلك المناطق. فليحافظ تلاميذ المسيح، إزاء هذه الشدائد، على رجائهم لأن الشهادة للإنجيل كانت وستبقى دائما علامة تناقض.

فلنتأمل في قلوبنا بكلمات الرب يسوع: "طوبى للمحزونين فإنهم يعزّون ... طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون ... طوبى لكم إذا شتموكم واضطهدوكم وافتروا عليكم كل كذب من أجلي. افرحوا وابتهجوا: إن أجركم في السماوات عظيم". (متّى 5/ 5 - 12) فلنجدد إذا "التزامنا في التسامح والغفران الذي نبتهله من الله في صلاة الأبانا لأننا شئنا لأنفسنا رحمة الله. في الواقع إننا نصلي قائلين: "وأعفنا مما علينا فقد أعفينا نحن أيضا من لنا عليه" (متىّ 6/ 12)"[[17]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn17" \o "). لا يمكن تخطي العنف بالعنف. ولتكن صيحات الألم التي نطلقها مرفقة دائما بالأيمان والرجاء والشهادة لمحبة الله. أعرب أيضا عن تمنياتي بأن يوضع حد في الغرب، لاسيما في أوروبا، للعدائية والأحكام المسبقة تجاه المسيحيين لمجرد سعيهم لعيش حياتهم وفقا لقيم ومبادئ الإنجيل. أتمنى بالحري أن تتصالح أوروبا مع جذورها المسيحية الأساسية لفهم الدور الذي لعبته في السابق وتلعبه اليوم وتنوي الاضطلاع به في التاريخ وبهذه الطريقة تختبر العدالة والوفاق والسلام من خلال حوار صادق مع جميع الشعوب.

 15- **الحريّة الدينيّة، درب للسلام**

العالم بحاجة إلى الله. إنه بحاجة إلى قيم أدبية وروحية، قيم كونية ومتقاسمة والدين قادر على الإسهام في البحث عنها وفي بناء نظام اجتماعي عادل ومسالم على الصعيدين الوطني والدولي.

السلام هبة من عند الله وفي الوقت نفسه تصميم ينبغي إنجازه ولم يكتمل بعد. إن مجتمعا متصالحا مع الله هو أقرب إلى السلام، وليس غياب الحرب وحسب أو مجرد ثمرة الهيمنة العسكرية والاقتصادية، أو وليد الدهاء والمكر ومهارة التحكم بالأمور. السلام بالأحرى نتيجة مسيرة من الارتقاء الثقافيّ والأدبي والروحي لكل شخص وشعب، تحترم في إطاره كرامة الإنسان بالكامل. أدعو الراغبين بأن يصبحوا أدوات سلام، وخصوصا الشبان، للإصغاء إلى صوتهم الداخلي ليجدوا في الله مرجعا ثابتا يمكّنهم من اكتساب حريّة أصيلة القوة اللازمة لتوجيه العالم بروح جديد كي لا تتكرر أخطاء الماضي. يعلمنا خادم الله بولس السادس، الذي يعود الفضل في تأسيس اليوم العالمي للسلام إلى حكمته وبعد نظره أنه ينبغي قبل كل شيء إعطاء السلام سلاحا آخر، غير السلاح الذي يقتل ويقضي على البشرية. إننا بحاجة إلى الأسلحة الأدبية التي تعطي قوة وهيبة للقانون الدولي، انطلاقا من التقيد بالاتفاقيات[[18]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftn18" \o "). الحريّة الدينيّة سلاح أصيل للسلام تحمل رسالة تاريخية ونبوية. إنها في الواقع تقيّم الميزات والقدرات العميقة للشخص البشري وتجعلها مثمرة وقادرة على تبديل العالم نحو الأفضل. إنها تسمح بتغذية الرجاء في مستقبل عدالة وسلام حتى إزاء أوضاع الظلم الخطيرة والبؤس المادي والمعنوي. فليتمكن جميع البشر والمجتمعات وعلى الأصعدة كافة وفي مختلف أصقاع المعمورة من اختبار الحريّة الدينيّة، درب للسلام!

[[1]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref1" \o ") راجع بندكتس السادس عشر، الرسالة العامّة "المحبّة في الحقيقة"، الاعداد 29 ، 55 -57.

[[2]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref2" \o ") راجع المجمع الفاتيكاني الثاني، الإعلان حول الحريّة الدينيّة "في الكرامة البشريّة"، 2.

[[3]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref3" \o ") راجع بندكتس السادس عشر، الرسالة العامّة "المحبّة في الحقيقة"، 78.

[[4]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref4" \o ") راجع المجمع الفاتيكاني الثاني، الإعلان حول علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحيّة "في عصرنا"، 1.

[[5]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref5" \o ") راجع المجمع الفاتيكاني الثاني، الإعلان حول الحريّة الدينيّة "في الكرامة البشريّة"، 7.

[[6]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref6" \o ") بندكتس السادس عشر، الخطاب أمام الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة (18 نيسان 2008)

[[7]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref7" \o ") راجع المجمع الفاتيكاني الثاني، الإعلان قرار حول الحريّة الدينيّة "في الكرامة البشريّة"، 2.

[[8]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref8" \o ") يوحنّا بولس الثاني، خطاب أمام المشاركين في الجمعيّة البرلمانيّة لمنظّمة الأمن والتعاون في أوروبا (10 تشرين الأوّل 2003)

[[9]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref9" \o ") بندكتس السادس عشر، الرسالة العامة "المحبة في الحقيقة"، 11.

[[10]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref10" \o ") راجع المجمع الفاتيكاني الثاني، الاعلان حول الحرية الدينية "في الكرامة البشرية"، 1

[[11]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref11" \o ") شيشرون، في الاكتشاف،2: 16.

[[12]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref12" \o ") راجع بندكتس السادس عشر، خطاب إلى ممثلي الديانات الأخرى في المملكة المتحدة (17 سبتمبر 2010).

[[13]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref13" \o ") المجمع الفاتيكاني الثاني، الاعلان  حول علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية "في عصرنا"، 2.

[[14]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref14" \o ") المرجع نفسه.

[[15]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref15" \o ") توما الأكويني، إنجيل يوحنا، الفصل الأول، 3.

[[16]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref16" \o ") راجع  بندكتس السادس عشر، خطاب إلى السلطات المدنية والسلك الدبلوماسي في قبرص (5 حزيران 2010).

[[17]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref17" \o ") بولس السادس، الرسالة ليوم السلام العالمي 1976.

[[18]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=111" \l "_ftnref18" \o ") المرجع نفسه.